التواضع أحب إلى

صبري بن سلامة شاهين

مصدر هذه المادة:



دار بلنسية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبد العزيز: ما شاء الله ما شاء الله .. ما هذه العظمة والأبهة يا عماد؟!

ياسر: إيه .. كلُّ يومٍ لقاءٌ صحفيٌّ على مدار أسبوعٍ كامل.

عبد العزيز: وصورك ملأت الجرائد.

ياسر: واسمك على كلِّ لسان.

عماد: الحمد لله .. الحمد لله .. فهذا من فضل ربي.

عبد العزيز: صحيح يا عماد، ما سبب هذا النجاح الباهر؟

ياسر: يبدو أنك كنت تحفظ كلَّ شيء.

عماد: صحيح كنت أحفظ وأفهم، ولكن قبل كلِّ شيءٍ هو توفيقٌ من الله عزَّ وجل.

عبد العزيز: بالتأكيد كان والداك يساعدانك.

ياسر: وكذلك المدرِّسون المتخصِّصون، يدخل هذا ويخرج هذا.

عماد: لا ياسر، فأنت تعلم أنَّ حالتنا لا تسمح بذلك.

عبد العزيز: الأمر العجيب يا عماد أنك حصلت على الدرجات النهائية.

ياسر: ولم يجد لك المدرسون خطأً واحدًا.

عبد العزيز: لقد صرَّح بذلك مدير المدرسة في لقاءٍ صــحفيٍّ نُشِر في جريدة الرياض.

ياسر: فماذا كنت تفعل إذن يا عماد؟

عبد العزيز: نعم، احكِ لنا طريقتك في المــذاكرة وتحصــيل الدروس.

عماد: باختصار شديد كنت أُحضِّر الدرس قبل الــذهاب إلى المدرسة، وأستمع بإنصاتٍ وتركيزٍ شديدٍ للمــدرس، وأراجــع في البيت ما أخذته في المدرسة.

ياسر يتعجَّب ويستقلُّ ما قاله عماد فيقول: فقط ؟!.. فقط؟!!

عبد العزيز: أخشى ما أخشاه عليك يا عماد أن يتســرَّب إلى قلبك شيء من العجب أو الكبر بعد هذا النجاح العظيم.

عماد: جزاك الله خيرًا يا عبد العزيز، فــإنَّ الشــيطان أراد أن ينفخ في نفسي، ويُزيِّن لي النجاح، ويُصوِّرني بأعظم صورة.

عبد العزيز: الحمد لله، ولا أُزكِّيك على الله، فإني لم أجد منك أيَّ مظهرٍ من مظاهر العجب والكبرياء، ولكني خشيت من هــذا فأحببت أن ألفت نظرك حبًّا لك وحرصًا عليك.

عماد: جزاك الله خيرًا يا أخي، فالمؤمن مرآة أخيــه، وهــذا واجبٌ عليك أن تنصح لي، واجبٌ عليّ أن أستجيب لنصحك.

ياسر: ولكن يا عماد لِمَ وافقت على نشر صورك في الجرائد؟

عماد: ولِمَ هذا الإحراج يا ياسر؟ وأنا والحمد لله م أوافــق،

ولكن أُخذت هذه الصور وأنا وسط زملائي ومع أساتذتي.

ياسر: ولكن هذا حرام يا عماد، وأنت تعلم ذلك؟!

عماد: لقد قُمت بواجبي، وفعلت ما كُلِّفت به، وبيَّنت للحاضرين حُكم الله وحُكم رسوله في الصور والتصوير.

عبد العزيز: دع عنك هذا يا ياسر، المهم أن ننصح أخانا ونُذكِّره بفضل التواضع.

عماد: والله يا إخوان لما علمت بخبر نجاحي هذا سجدت شكرًا لله، وتذكرت ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ وأيقنت أن المتقي هو الناجح الحقيقي.

يدخل الجدُّ ويُسلِّم على الأولاد قائلاً:

السلام عليكم يا أحبابي!

الأولاد: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

عماد: الحمد لله على سلامتك يا جدِّي!

عبد العزيز: متى وصلت يا جدي؟

الجد: الآن فقط يا بني.

ياسر: اجلس يا جدي، اجلس واسترح.

الجد: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾، رزقني الله وإيَّاكم التقوى يا أولادي.

عبد العزيز: لقد نجح عماد يا جدِّي نجاحًا باهرًا، وحصل على

الدرجات النهائية.

ياسر: نجاحٌ عجيب، فلم يجد المدرِّسون له خطأً واحدًا.

الجد: هنيئًا لك يا عماد، وبارك الله فيك، فلقد علمت من الجرائد .. ولا تنسى يا بني شكر الله على هذه النعمة، واحذر البطر والكبر والإعجاب بالنفس؛ فإن هذه أدواء مهلكة.

عماد: الحمد لله يا جدي! لقد تذكَّرت نصائحك لي، وخاصة حديث رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى أوحى إلي أَنْ تواضعوا، ولا يبغي بعضكم على بعض**».

الجد: صدق رسول الله ﷺ حين قال: «**ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله**».

عماد: وصدق أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي قال: «وجدنا الكرم في التقوى، والغنى في اليقين، والشرف في التواضع».

الجد: اعلم يا بنيّ أنك محسودٌ بنجاحك هذا، فقد قيل: التواضع أحدُ مصائد الشرف، وكلُّ نعمة محسودٌ عليها صاحبها إلاَّ التواضع، فاحرص أن تكون متواضعًا.

عبد العزيز: لقد نصحت لأخي عماد، وحذَّرته من العجب والكبر، وأن يتحلَّى بالتواضع .. ولكن يا جدي قد يفهم البعض أنَّ التواضع هو الذِلَّة والمهانة.

الجد: لا يا بني، فهذا نبيُّ الله محمدٌ ﷺ يختار أن يكون عبدًا رسولاً على أن يكون مَلِكًا نبيًا عندما قال له جبريل: تواضع لربِّك

يا محمد.

الأولاد في صوت واحد: صلَّى الله عليه وسلَّم.

عماد: ولقد كان صلَّى الله عليه وسلَّم يمرُّ على الصبيان فيسلم عليهم، وكان يأتي ضعفاء المسلمين يزوروهم، ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم.

عبد العزيز: وكان صلَّى الله عليه وسلَّم يركب الحمار، ويخصف النعل، ويرقع القميص، ويجيب دعوة المملوك.

الجد: والله يا أبنائي إنَّ أمر رسولكم ﷺ لعجيب؛ فلقد دعاه خيَّاط بالمدينة إلى طعامه .. أتدرون إلى أيِّ شيءٍ دعاه؟!

الأولاد: على أيِّ شيءٍ دعاه؟

الجد: دعاه إلى خبز شعير بإهالة سَنَخَة، وفيها قرع .. أتدرون يا أولاد ما الإهالة السَّنخَة؟

الأولاد: لا ندري .. لا ندري.

الجد: الإهالة السَّنَخَة هي ما يؤتدم به من الادِّهان، أي زيت الطعام، وقد تغيَّرت رائحته، والرسول ﷺ يجيب دعوته ويأكل من طعامه تواضعًا لهذا الخيّاط وجبرًا لخاطره.

عماد: ما أحوجنا إلى التحلِّي بهذا الخُلُق الكريم، خُلُق التواضع .. فلو ذكرت لنا بعض النماذج لعلَّنا نتعلَّق به.

الجد: هذا الصِّديق أبو بكر رضي الله عنه الذي رجح الأمَّة كلَّها بإيمانه يقول عن نفسه: «وددت أني شعرة في جنب عبدٍ

مؤمن».

عبد العزيز: اذكر لنا مثالاً من تواضع عُمر بن الخطاب.

الجد: يقول عروة بن الزبير «رأيت عمر يحمل على عاتقه قربة ماء، فقلت له: يا أمير المؤمنين، لا ينبغي لك هذا، فقال عمر: لما أتاني الوفود سامعين مُطيعين دخلت نفسي نخوة فأردتُ أن أكسرها».

ياسر: اذكر لنا مثالاً آخر يا جدِّي.

الجد: هذا عبد الرحمن بن عوف، كان لا يُعرف من بين عبيده لتواضعه في الزيِّ واللباس، وهذا أبو هريرة وقد ولي الإمارة مرَّة، فكان يحمل حزمة الحطب على ظهره، ويقول للناس: طرِّقوا للأمير، أي افسحوا الطريق .. وهذا يا أولاد عمار بن ياسر، وكان أميرًا على الكوفة يحمل على ظهره علف الدَّواب.

عبد العزيز: هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، تربَّوا على عينه ولازموه وأخذوا منه فبلغوا أعلى المنازل وتفوَّقوا على الدنيا بأسرها.

الجد: وكذلك كان التابعون لهم بإحسان.

فهذا عمر بن عبد العزيز يشتري ابنٌ له خاتمًا بألف درهم فيأمره ببيعه، ويطعم بثمنه ألف جائع، ويتَّخذ خاتمًا بدرهمين ويكتب على فصِّه: رحم الله امرأً عرف قدر نفسه.

عماد: ولماذا يا جدِّي لم يتكرَّر جيلٌ مثل هذه الأجيال؟!

الجد: لأننا يا بُني بعدنا عن تعاليم الدين الحقيقية، وضعف فينا الإيمان، وأحببنا الدنيا وتنافسنا عليها .. من هنا، من هنا يـــا أولاد أتى علينا ما ترَون من ضعفٍ وانهزاميةٍ وتخلُّفٍ وضياع.

عبد العزيز: ولكن يا جدي الخير في أمة محمـــد ﷺ إلى يـــوم القيامة.

الجد: نعم يا بني، وهذا من فضل الله علينا، فلن نعـــدم الخـــير وأمامنا هذه النماذج الطيبة الرائعة، تبعث فينا النشاط وتُحيِي فينـــا الهمَّة .. وها هي بشائر الخير تلوح لنا فيكم أنتم.

ياسر: اذكر لنا مثالاً آخر يا جدِّي؛ فإنَّ هذا الموضوع هـــام جدًّا، وأحبُّ أن أُربِّي نفسي على هذا الخُلق الرَّفيع.

الجد: طبعًا كلُّكم تعرفون أحمد بن حنبل إمام أهل السنة.

الأولاد: نعم .. نعرفه.

الجد: يقول له أحد الناس: لا يزال الناس بخيرٍ ما مَنَّ الله عليهم ببقائك، فماذا ترَون قال له؟

الأولاد: وماذا قال له؟!

ياسر: هل شكره وقال له: جزاك الله خيرًا؟

الجد: لا يا بني لم يقل ذلك، بل إنه لم يرضَ منه هذا القـــول وقال له: لا تقل هذا، ومن أنا في الناس؟!

عماد: إذن كيف يُحقِّق الواحد منا التواضع في نفســـه ومـــع إخوانه؟

الجد: أولاً يا بني لا تأنف ولا تستكبر أن تحمل أمتعتك بنفسك.

عبد العزيز وياسر: وماذا أيضًا يا جدِّي؟

الجد: أن تجلسوا إلى المساكين، فهذا سبط النبي ﷺ الحسين بن علي يمرُّ على مساكين معهم كِسَرٌ من خبز فدعَوه فأجابهم وهو يقرأ: ﴿**إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ**﴾.

ياسر: قد يأنف الواحد منا أو تأخذه العزَّة إذا رأى من هو دونه، فماذا يفعل ليدفع عن نفسه هذا الخُلُق؟

الجد: إذا وجدتَ أحدًا أقلَّ منك قدرًا فلا تُحقِّره؛ لأنه قد يكون أسلم منك قلبًا وصدرًا، أو أقلَّ منك ذنبًا، أو أعظم منك أجرًا وتقرُّبًا إلى الله.

ياسر: حتى وإن كان ظاهره العصيان والفسق والمجاهرة بالذنوب؟

الجد: وإن كان كما قلت فاحمد الله أن عافاك من هذا البلاء، واحذر رؤيتك لطاعتك فيكون فيها رياءٌ أو عجبٌ فيحبط عملك .. ولعلَّ يا بني هذا المذنب فيه من الندم والتحسُّر والانكسار والخوف من ذنوبه ما يكون سببًا لمغفرته.

عماد: رحم الله الشاعر القائل:

تَواضَعْ تَكُن كَالنَّجْمِ لاَحَ لِنَاظِرٍ
عَلَى صَفَحَاتِ المَاءِ وَهُوَ رَفِيعُ

وَلاَ تَكُ كَالــدُّخَانِ يَعلُــو بنَفْســهِ
إِلَى طَبَقَاتِ الجَــوِّ وَهُــوَ وَضِــيعُ

عبد العزيز: ما أجمل قول أمُّنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين قالت: إنكم لتغفلون أفضل العبادة: التواضع.

عماد: وصدق إمام العلماء وقدوتهم مُعاذ بن جبل رضـــي الله عنه حين قال: لن يبلغ العبد ذُرى الإيمان حتى يكون التواضع أحبُّ إليه من الشَّرف.

الجد: وصدق يا أبنائي إمام الأنبياء الرسول الكريم ﷺ حـــين قال: «**انتسب رجلان على عهد موسى. فقال أحدهما: أنا فــلان ابن فلان حتى عدَّ تسعةً، فمن أنت لا أُمَّ لك؟ قال: أنا فلان ابن فلان ابن الإسلام، فأوحى الله علـــى موســـى: أن قـــل هـــذين المنتَسبَين: أمَّا أنت أيها المنتسب إلى تسعة في النار، فأنت عاشرهم في النار، وأما أنت أيها المنتسب إلى اثنين في الجنة، فأنت ثالثهما في الجنة**».

***